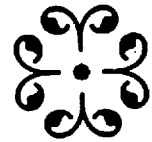

محمد
صلى الله عليه وسلم
خاتم الأنبياء والمرسلين ومعجزاته الخالدة

الجزيرة العربية وحالة العرب قبل الإسلام:

عاشت الجزيرة العربية قبل الإسلام وسط دولتين كبيرتين، هما دولتا الفُرْس والروم، ويأتى من ورائهما اليونان والهند، فدولة الفُرس عاشت حياة متصارعة وسط تخبط دينى، فكانت الزَّرَادُشْتية ديانة ذوى السلطان والحكام، وكان من مبادئ هذه الديانة الفاسدة تفضيل زواج الرجل بأمه، أو ابنته، أو بأخته، فما أفظع ذلك!

وكانت هناك ديانة أخرى تسمى المزدكية، تقوم على مبادئ فاسدة أيضًا، من أجل إباحة النساء وإباحة الأموال، وجعل

الناس شركة فيهما، كاشتراكهم فى الماء والنار، وقد حظيت هذه الديانة باستجابة عظيمة لدى أصحاب العقول المتخلفة.

أما عن دولة الروم فقد كانت منهمكة فى خلاف دينى بينها من جهة، وبين النصارى فى كل من الشام ومصر من جهة أخرى، واعتمدت على قوتها العسكرية، وطموحها الاستعمارى من أجل تطوير المسيحية والتلاعب بها حسبما توحى مطامعها وأهواؤها، وانتشر فيها الفساد كدولة الفرس، مثل الانحطاط الخُلقى، وكثرة الضرائب على عامة الشعب.

أما اليونان فقد عاشت وسط السفسطة الكلامية والفلسفية التى مُنِيَتْ بها، دون الوصول إلى ثمرة مفيدة.

وفى الهند ذَكَرَ المؤرخون أن أحط أدوارها ديانةً وخُلُقًا وتدهوراً اجتماعيًّا كان فى ذلك العهد الذى يبتدئ من القرن السادس الميلادى، فقد ساهمت مع جاراتها وشقيقاتها فى التدهور الأخلاقى والاجتماعى[1].

وقد كان هذا الفساد المتفشى بين هذه الأمم، وما وقعت فيه من انحلال واضطراب وشقاء راجعًا إلى الحضارة والمدنية القائمتين على أُسس مادية، دون أن يكون هناك أدنى مَثَل أعْلَى لهذه الحضارة يصل بها إلى الطريق المستقيم.

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ٢٨.

أما الجزيرة العربية ـ التى تحيط بها دولتا الفرس والروم ـ فكانت بعيدة عن هذه المظاهر الزائفة، وكانت طبائع أهلها أشبه ما يكون بالمادة الخام التى لم تنصهر فى أى بوتقة، فكانت تتراءَى فيها الفِطْرةُ الإنسانية السليمة، والنزعة القوية إلى الاتجاهات الإنسانية[1].

وبين هذه الدول التى تحيط بالجزيرة العربية كانت هناك القبائل العربية التى تُكَوِّنُ أمة العرب، وفى مقدمة هذه القبائل كانت قريش، التى كانت تقوم بتجارة العرب، وهى تجارة عظيمة، كانت تتجه شمالاً إلى الشام فى الصيف، وجنوبًا فى الشتاء إلى اليمن، يقول الله عز وجل: ﴿**لإِيلافِ قُرَيْشٍ ① إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ② فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ③ الَّذِى أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ**﴾[2].

وكانت قريش والجزيرة العربية كلها تعيش على الفطرة الإنسانية، فيها نزعة قوية إلى الاتجاهات الإنسانية الحميدة، كالوفاء، والكرم، والنجدة، والإباء، والعفة، غير أنهم كانوا يئدون بناتهم خوف الفَقْر، وحرصًا على ثياب الشرف والعفة، ويتلفون أموالهم الضرورية بدافع الكرم، ويثيرون المعارك بدافع الإباء والنجدة.

(١) فقه السيرة للأستاذ محمد سعيد البوطى، ص ٣٤.

(٢) سورة قريش.

مشرق الدعوة الإسلامية:

ولما كانت حالة العالم كله على هذا النحو: فساد فى الشرق، وضلال فى الغرب، وفطرة طبيعية فى الجزيرة العربية لم تسلم من المفاسد والمآخذ، لذلك كانت الحكمة الإلهية أن تحظى الجزيرة العربية ـ وهى فى موقع متوسط من العالم كله ـ بشرف بعثة النبى ﷺ، لتكون رسالته خاتمة للرسالات السماوية، وتكون نبوته خاتمة للنبوات كلها، ولذلك هيأ الله ـ عز وجل ـ لهذه الدعوة كل وسائل النجاح، وهذا ليس بعزيزٍ على الله ـ عز وجل ـ خالق الإنسان، ومبدع السمٰوات والأرض.

فكان من حكمته ـ سبحانه ـ أن يبعث رسولاً من أُمَّة العرب، وهى أُمَّةٌ أُمية، وبعيدة كل البعد عن الحضارات المجاورة، وأن يكون الرسول أُمِّيًّا، لا يقرأ ولا يكتب، حتى لا يتطرق الشك لدى أى إنسان فى صِدْقِ رسالته، وحتى لا يُقال إنه قرأ واطلع فى كتب السابقين، وابتدع ذلك من عنده.

ولقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك فى قوله عز وجل: ﴿ **هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ** ﴾[1].

(١) الجمعة: ٢.

نسب الرسول ومولده

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ـ ويُدعَى شَيْبَةَ الحمد ـ بن هاشم بن عبد مناف ـ واسمه المغيرة ـ بن قُصَيّ ـ ويسمى زيدا ـ بن كلاب بن مرة بن كعب بن لُوَيٍّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ابن كنانة بن خُزَيْمَة بن مُدْرِكَة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، هذا هو القَدْرُ المتفق عليه من نَسَبِه الشريف ﷺ، أما ما فوق ذلك فَمُخْتَلَفٌ فيه[1].

يقول ﷺ: «**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى هاشمًا من قريش، واصطفانى من بنى هاشم**»[2].

فهو ﷺ سيد ولد آدم، وفخرهم فى الدنيا والآخرة، وهو أبو القاسم، وأبو إبراهيم، هو محمد، وأحمد، والماحى، الذى يمحى به الكفر، والعاقب، الذى لا نبى بعده، والحاشر، الذى يُحْشَرُ الناس على قدميه، وهو نبى الرحمة، ونبى التوبة، ونبى الملحمة، وخاتم النبيين، والفاتح، وطه، ويس، وعبد الله.

قال البيهقى: وزاد بعض العلماء فقال: سماه الله فى القرآن

(١) فقه السيرة للأستاذ سعيد رمضان البوطى، ص ٤٩، الطبعة السابعة.

(٢) رواه مسلم.

رسولاً، ونبيًّا، وأمينًا، وشاهدًا، ومُبَشِّرًا، ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه، وسراجًا منيرًا، وجعله رحمةً، ونعمةً، وهاديًا[1].

قال ابن إسحاق: حدثنى المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخرمة عن أبيه، عن جده قيس، قال: وُلِدْتُ أنا ورسول الله ﷺ عامَ الفيل، فنحن نِدَّان[2]، قال ابن إسحاق: فلما وَضَعَتْهُ أُمُّهُ أرسلت إلى جده عبد المطلب، أنه قد وُلِدَ لك غلام، فَأْتِه وانظر إليه، فأتاه فَنَظَر إليه، وَحَدَّثَتْهُ بما رَأَتْ حين حَمَلَتْ به، وما قيل لها فيه، وما أُمِرَتْ أن تسميه. وقد وُلِدَ ﷺ يتيمًا، حيث مات أبوه عبد الله وأمه حامِلٌ به لشهرين فحسب، فعنى به جدُّه، واسترضع له[3].

خروجه صلى الله عليه وسلم إلى الشام:

وحين خرج عمه أبو طالب فى تجارة إلى الشام تَعَلَّقَ به رسول الله ﷺ تعلقًا شديدًا ليأخذه معه، فَرَقَّ قلبُ عَمِّه له، وأخذه معه، وكان الرسول ﷺ فى الثانية عشرة من عمره، ونزل الركب ببصرى بالشام، وكان بها راهب يسمى «بحيرى» فى صومعة له، وكان إليه عِلْمُ أهل النصرانية، وكان هذا الراهب عليمًا بالإنجيل، خبيرًا بشئون النصرانية، ولما رأى «بحيرى» النبى ﷺ فَجَعَلَ يتأمله، ويكلمه، ثم

(١) البداية والنهاية (٢/ ٢٥٢).
(٢) النِّدُّ: المِثْلُ والنظير.
(٣) استرضع له: طلب له مُرْضِعةً.

التفت إلى أبى طالب، وقال: ما هذا الغلام منك[1]؟ فَرَدَّ أبو طالب: إنه ابنى. وكان أبو طالب يدعوه بابنه لشدة حُبِّه له، وشفقته عليه، قال بحيرى: مَا هُو بِابْنِكَ، وما ينبغى أن يكون والد هذا الغلام حَيًّا. فقال أبو طالب: هو ابن أخى. قال: فما فَعَلَ أبوه؟ قال مات وأمه حُبْلَى به. قال «بحيرى»: صَدَقْتَ، فارجع به إلى بلده واحذر عليه من اليهود؛ فوالله لئن رأوه هنا لَيَبْغُنَّهُ شرًّا، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم. فأسرع أبو طالب عائدًا به إلى مكة.

رعاية الله له، وعنايته به:

شب رسول الله ﷺ بعد ذلك تَحُفُّهُ عناية الله وترعاه، وتحوطه بعيدًا عن أقذار الجاهلية، حتى صار أفضل قومه مروءةً، وأحسنهم خُلُقًا، وأكرمهم حسبًا، وأحسنهم جوارًا، وأعظمهم حلمًا، وأصدقهم حديثًا، وأكثرهم أمانةً، وأبعدهم عن الفُحْشِ وسُوء الخُلُق، حتى أسموه بالصادق الأمين لما جُمِع فيه من كريم الخصال وأصلح الأمور.

قال ابن إسحاق: هاجت حرب الْفِجَارِ ورسول الله ﷺ ابن عشرين سنة، وقد سُمِّىَ يومَ الفجارِ لأن المتحاربين استحلوا المحارم بينهم، وقد شهد رسول الله ﷺ هذه الحرب، حيث أخرجه أعمامه معهم، حيث كان ﷺ يَرُدُّ النَّبْلَ عن أعمامه.

(١) يريد أن يعلم صلة القرابة بالنسبة له.

وقد اشتغل الرسول ﷺ برعى الغنم، فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ عن نفسه: «**كنت أرعى الغنم على قراريط لأهل مكة**»(١).

ويقول ﷺ متحدثًا عن نفسه: «**وما هَمَمْتُ بشئ مما كانوا فى الجاهلية يعملونه غير مرتين، كل ذلك يحول الله بينى وبينه، ثم ما هممتُ به حتى أكرمنى الله بالرسالة، قلت ذات ليلة للغلام الذى يرعى معى بأعلى مكة: لو أَبْصَرْتَ لى غنمى حتى أدخل مكة أسمُر بها كما يسمر الشباب! فقال: أفْعَلُ، فخرجتُ حتى كنت عند أول دار بمكة، فسمعتُ عزفًا، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: عُرْسٌ، فجلستُ أسمع، فَضَرَّبَ الله على أذنى، فنمت، فما أيقظنى إلاَّ حَرُّ الشمس، فَعُدْتُ إلى صاحبى، فسألنى، فأخبرتهُ. ثم قلتُ ليلةً أخرى مثلَ ذلك، ودخلتُ مكة، وأصابنى مِثْلُ أول ليلة. ثم ما هممتُ بعد ذلك بسوء**»(٢).

بدء نزول الوحى:

رَوَى الإمام البخارى عن السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ تصف كيفية بدء الوحى فتقول: «**أول ما بُدِئَ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة فى النوم، فكان لا يرى رؤيا إلاَ جاءت مثل فَلَقِ الصُّبح، ثم حُبِّبَ إليه الخلاء، وكان يخلو بنفسه بغار حراء فيتحنَّثُ فيه الليالى ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى**

(١) رواه البخارى.

(٢) رواه ابن الأثير، ورواه الحاكم، ورواه الطبرانى.

«خديجة» فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء، فجاءه المَلَك فقال له: اقرأ. فقال: ما أنا بقارئ. قال: فأخذنى فَغَطَّنى حتى بلغ منى الجهد ثم أُرْسِلتُ، فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذنى الثالثة ثم أرسلنى، فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[1].

الدعوة إلى الله:

مرت الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له ونبذ عبادة الأصنام سرًّا ثلاث سنوات، فلم يكن ﷺ يُظهر الدعوة إلا إلى مَنْ كانت تشده إليه صِلَة، وكان أولَ الداخلين فى الإسلام هى السيدة خديجة بنت خُوَيْلد ـ رضى الله عنها ـ وعلىٌّ بن أبى طالب، وزيدُ بن حارثة مولى رسول الله ﷺ، وأبو بكر بن أبى قحافة، وعثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمـن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص، وغيرهم، رضى الله عنهم أجمعين.

ولما زاد عددهم على الثلاثين بين رجل وامرأة اختار لهم الرسول ﷺ دار أحدهم (وهو الأَرْقَمُ بن أبى الأرقم) ليلتقى بهم فيها ليعلمهم أمور دينهم، وكان عامتهم من الفقراء والأَرِقَّاء، وممن لا شأن له بين قريش، وهذه الظاهرة طبيعية لدعوة الأنبياء فى فترتها

(١) العَلَق: ١ ـ ٥.

الأولى، فهولاء قوم نوح كانوا يُعَيِّرُونه بأن أتباعه الذين من حوله ليسوا إلا من أراذل الناس ودَهْمائهم، يقول الله عز وجل: ﴿فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾(١).

وما إنْ بدأ الناس يدخلون فى الإسلام أَرْسَالاً ـ أى: جماعات ـ من الرجال والنساء حتى فشا ذِكْرُ الإسلام بمكة، وتحدَّث الناس به، فأمر الله رسوله ﷺ أن يصدع بما جاءه من الحق، وأن يُبادِى الناس بأمره، وأن يدعو إليه، وكانت مدة الدعوة سرًّا عشر سنوات، ومن ثَمَّ نزل قول الله عز وجل: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾(٢).

وقال سبحانه وتعالى أيضًا: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ (٢١٤) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٣).

مضى رسول الله ﷺ فى سبيل دعوته، وجَهَرَ بها، ولاقَى فى سبيلها صنوف العذاب، ولكنه صبر وتحمل، وقد أيده الله عَزَّ وجَلَّ

(١) هود: ٢٧.
(٢) الحجر: ٩٤.
(٣) الشعراء: ٢١٤، ٢١٥.

بالمعجزات الباهرات لتكون دليلاً دامغًا وحجة قوية على صِدْقه، وهذه سُنَّة الله تعالى فى خَلقْه، فإنه ـ عز وجل ـ أيد موسى بكثير من المعجزات، وحيث اشتهر قومه بالسحر، فكانت معجزات موسى من جنس ما نبغ فيه قومه ـ وهو السحر ـ وكذلك أيد الله عيسى عليه السلام بالطب وشفاء الأبرص، والأكْمَه، وإحياء الموتى بإذن الله تعالى ومشيئته.

فإنْ كانَ الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ قد أيَّدَ أنبياءَهُ بذلك، فإنه ـ جَلَّ وعلا ـ قد أيد محمدًا ﷺ بالكثير والكثير من المعجزات الباهرات فى وقوفه ضد المشركين.

وسوف أبدأ بإذن الله تعالى وبتوفيقه سرد بعض تلك المعجزات.

القرآن الكريم معجزة خالدة إلى يوم الدين

لقد اشتهر العرب فى الجاهلية ـ وقبيل الإسلام مباشرة ـ بالفصاحة وبالبلاغة، فكان منهم خطباء وشعراء، وكانوا أرباب البلاغة والفصاحة. وأُقيمت الأسواق التى يتبارَى فيها كل مَنْ كان لديه القدرة على القول البليغ، كالخطب، والشعر، ولهذا كانت معجزة النبى ﷺ من جنس ما نبغوا فيه، ألا وهى القرآن الكريم.

فمن المعلوم أن رسول الله ﷺ كان أُمِّيًّا لا يقرأ ولا يكتب، فجاءت معجزته الخالدة فى الذِّرْوَة العليا من الفصاحة والبلاغة

والإعجاز، وتحدى بها الحق ـ جَلَّ وعلا ـ الإنس والجن أن يأتوا بمثلها أو ببعضها.

يقول الله عز وجل فى سورة الإسراء: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾(١).

نعم، إنه مُعْجز، ولو تكاتف البشر جميعًا وعَاوَنَهُم الجن كذلك ليأتوا بآية واحدة، أو سورة واحدة من مثل هذا القرآن الكريم لَمَا استطاعوا أبدًا.

ويقول سبحانه كذلك: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(٢).

يقول الإمام ابن كثير فى تفسير الآية الكريمة التى تتحدى المشركين: قُلْ لهم يا محمد: إنْ زعمتم أنه ـ أى القرآن الكريم ـ من عند غير الله فعارضوه بمثل ما جاء به، واستعينوا على ذلك بمن شئتم من دون الله، فإنكم لا تستطيعون ذلك.

قال ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ: «شهداءكم»، أى: أعوانكم.

(١) الإسراء: ٨٨.

(٢) البقرة: ٢٣.

وقال السدى عن أبى مالك: «شهداءكم» أى: قومًا آخرين يُساعدونكم على ذلك. أى: استعينوا بآلهتكم فى ذلك يمدونكم وينصرونكم. وقال مجاهد: «وادعوا شهداءكم» قال: ناس يشهدون به. يعنى حكام الفصحاء. وقد تحداهم الله تعالى بهذا فى غير موضع من القرآن الكريم، فقال ـ سبحانه وتعالى ـ فى سورة القَصَص: ﴿**قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾[1].

وقال تعالى: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾[2].

ومن ذلك نرى أن القرآن الكريم تحداهم كلهم ـ متفرقين ومجتمعين ـ سواء فى ذلك أميهم وكتابيهم، وذلك أكمل فى التحدى.

وقد جاء هذ التحدى عامًّا لهم، مع أنهم أفصح الأمم، وقد تحداهم فى كل من مكة والمدينة مرات عديدة، مع شدة عداوتهم له، وبغضهم لدينه، ومع هذا عجزوا عن ذلك، ولذلك قال سبحانه: ﴿**فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا**﴾ «ولن» هنا لنفى التأبيد فى المستقبل، أى: ولن تفعلوا ذلك أبد الآبدين، ودهرَ الداهرين.

(١) القصص: ٤٩.

(٢) هود: ١٣.

وكذلك وقع الأمر، فلم يُعَارَضْ من لدنه إلى زماننا هذا، ولا يمكن، وأَنَّى يتأتَّى ذلك لأحدٍ والقرآن كلام الله المعجز، خالق كل شئ؟ وكيف يشبه كلام الخالقِ كلام المخلوقين؟ إنَّ من يتدبر القرآن يجد فيه من وجوه الإعجاز فنونًا ظاهرة، وفنونًا خفية من حيث اللفظ ومن حيث المعنى.

وقد أتانا القرآن الكريم بأخبار الأمم السابقة جميعها، كما أخبرنا بما سيحدث فى المستقبل، فقال سبحانه: ﴿**الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ**﴾[1].

وفى ذلك نرى أن القرآن الكريم أخبرنا عَمَّا حدث وعما سيحدث، وقد وقع ماتنبأ به تمامًا، حيث هُزِمَتِ الرومُ قُرْبَ أرض فارس، وبعد هذه الهزيمة ذكر القرآن أن الرومَ سيغلبون الفُرْسَ فى بضع سنين - ومن المعلوم أن البِضْعَ ما بين الثلاثة والتسعة - وقد حَدَثَ ذلك. ومن هنا نرى أن القرآن قد أخبرنا بالغيب، فمن أين لرسول الله أن يعلم بذلك لولا إخبار القرآن بذلك؟ إن فى ذلك منتهى التحدى والإعجاز.

وكذلك فإن القرآن كتاب يدعو إلى الحق، وقد هدانا إلى

(١) الروم: ١ - ٤.

السبيل القويم، ونهانا عن عبادة الأوثان، وهى عبادة باطلة انغمس فيها العرب قرونا طويلة. فجاء القرآن يصحح عقائد المؤمنين بها.. كما صحح عقائد أهل الكتب الإلهية السابقة، وأضاف إليها إضافات مهمة لم تذكرها التوراة وغيرها من الكتب.

أما عن الإعجاز العلمى للقرآن فَحَدِّثْ عن ذلك ولا حَرَجَ، وبرغم أن العرب كانت أُمَّة أُمية فقد أتى بعلوم كونية وفلكية وطبية وغيرها من العلوم التى لم يألفها العرب من قبل، مما يدل على إعجازه وتفرده.

وحفظ لنا عقولنا، فَنَهانَا عن شُرْب الخمر، حيث قال سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[1].

وحَفِظَ لنا أنسابنا، فحرَّم الزِّنَى، قال سبحانه: ﴿**وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً**﴾[2].

وحفظ القرآن لنا أنفسنا، فنهانا عن قتل النفس البريئة نهيًا قاطعًا، بل تَوَعَّدَ القاتل بالخلود فى النار، قال تعالى: ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا**

(١) المائدة: ٩٠.

(٢) الإسراء: ٣٢.

مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[1].

كذلك حفظ القرآن الكريم لنا أموالنا، حيث قال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾[2].

وغير ذلك من التعاليم السامية التى حَوَّلت العرب من أُمَّة بدوية تموج بقبائل متنافرة، إلى أُمة مترابطة متحضرة، دستورها هذا الكتاب الخالد الذى يحث على الأخلاق الكريمة، والوفاء والصدق، والحلم والعفاف، والعمل الصالح، والإخاء، والمساواة فى الحقوق والواجبات، وغير ذلك من الأمور والعبادات، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، وسائر التشريعات الربانية فى الأمة الإسلامية.

وهكذا نرى أن القرآن الكريم هو معجزة الرسول الخالدة التى ستبقى إلى يوم الدين، وهى الدستور القويم والسراج المنير الذى شرح الله به صدورنا، وأنار عقولنا، ففتح الله به آذانًا صُمًّا، وقلوبًا غُلْفًا، وأعينا عُمْيًا، نعم إنه كلام الله المعجز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيلٌ من حكيم حميد.

(١) النساء: ٩٣.

(٢) النساء: ٢٩.

معجزة الإسراء والمعراج

كلمة (الإسراء) تعنى: السير ليلاً. وكلمة (المعراج) تعنى: الصعود إلى السماء.

أما المقصود بالإسراء والمعراج فهو تلك المعجزة الخالدة، والرحلة المباركة التى أكرم الله بها نبيه، حيث أُسْرِى به من المسجد الحرام بمكة المكرمة إلى المسجد الأقصى بالقدس، ثم ما أعقب ذلك من الصعود إلى طبقات السمنوات العُلاَ، ثم الوصول به إلى حَدٍّ انقطعت عنده عُلوم الخلائق كلها، وقد تم ذلك كله فى ليلة واحدة.

روى ابن سعد فى طبقاته الكبرى أن هذه المعجزة حدثت قبيل الهجرة إلى المدينة بثمانية عشر شهرًا، وجمهور المسلمين على أن هذه «الرحلة» كانت بالجسم والروح معًا، ولذلك فهى من المعجزات الباهرات التى أكرم الله بها نبيه ﷺ.

وقصة ذلك ـ كما رواها البخارى ومسلم ـ وفيها أنه ﷺ أُتى بالبُرَاق، وهو دابة فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه.. ومنها: أنه ﷺ دخل المسجد الأقصى فصلى فيه ركعتين، ثم أتاه جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن، فاختار ـ عليه الصلاة والسلام ـ اللبن، فقال جبريل: اخترت الفِطْرَة.. وفيها أنه عُرِجَ به ﷺ إلى السماء الأولى، ثم الثانية، والثالثة، وهكذا حتى وصل إلى سِدْرَة المنتهى، وأَوْحَى الله إليه عندئذ ما أَوْحَى.. وفيها فُرضت

الصلوات الخمس على المسلمين، وهى فى أصلها خمسون صلاة فى اليوم والليلة[1].

وفى صباح اليوم التالى حَدَّثَ الرسول ﷺ الناسَ بما شاهَدَ، فأخذ المشركون يجمع بعضهم بعضًا ليتناقلوا هذا الخبر الطريف ويضحكوا منه، وتحداه بعضهم أن يصف لهم بيت المقدس ما دام أنه قد ذهب إليه وصلى فيه، والرسول ﷺ لم يكن يخطر على باله مثل هذا السؤال.

وهنا تتجلى معجزة أخرى، حيث جَلَّى الله ـ عز وجل ـ صورة بيت المقدس أمام عينى الرسول ﷺ، فأخذ يصفه لهم وصفًا تفصيليًّا.

روى البخارى ومسلم، عن رسول ﷺ أنه قال: «لَمَّا كذبتنى قريش قُمْتُ فى الحِجْرِ، فجلَّى الله لى بيت المقدس، فَطَفِقْتُ أُخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه».

أما أبو بكر الصِّدِّيق ـ رضى الله عنه ـ فقد حَدَّثَهُ بعض المشركين عَمَّا يقول الرسول ﷺ رَجَاء أن يُكَذِّبَهُ ولا يصدقه، فقال: «لئن كان قال ذلك فقد صَدَقَ، إنى لأُصَدِّقُهُ فيما هو أبعد من ذلك».

وفى صبيحة ليلة الإسراء جاء جبريل وعَلَّمَ الرسول ﷺ كيفية

(١) القصة كاملة فى صحيح مسلم (٢/ ١٧٠) طبعة المكتبة التوفيقية. وفى سيرة ابن هشام (٢/ ٢٦٨).

الصلاة وأوقاتها، وكان ـ عليه السلام ـ قبل فرض الصلاة يصلى ركعتين صباحًا ومثلهما مساءً، كما كان يفعل إبراهيم عليه السلام.

إن معجزة الإسراء والمعراج مُتَّفَقٌ عليها، ولا يُنْكَرُ قطعية ثبوتها، وهى من أكبر معجزاته ﷺ، فقد جاءت هذه المعجزة بمثابة تكريمٍ من الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لنبيه، وتجديد لعزيمته، ثم كانت دليلاً على أن هذا الذى يلاقيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ من قومه ليس بسبب أن الله قد تَخَلَّى عنه، أو أنه قد غضب منه، وإنما هى سُنَّة الله مع محبيه، وهى سنة الدعوة الإسلامية فى كل عصر وزمن.

ومن الأدلة التى لا تقبل الاحتمال على أن الإسراء والمعراج كان بالجسد والروح: ما ذكرنا من استعظام مشركى قريش لذلك، وتعجبهم لذلك، وسرعة تكذيبهم له، إذ لو كانت المسألة مسألة رؤيا منامية وكان إخباره إياهم على هذا الوجه لما استدعى الأمر منهم أىَّ تعجبٍ أو استعظام، أو استكبار، لأن المرئيات فى النوم لا حدود لها، بل ويجوز مثل هذه الرؤيا حينئذ على المسلم والكافر، ولو كان الأمر كذلك لما سألوه أيضًا عن صفات بيت المقدس وأبوابه وسواريه بقصد الإلزام والتحدى[1]. أما كيف تمت هذه المعجزة وكيف يتصورها العقل، فقد تمت كما تتم كل معجزة، كغيرها من معجزات الكون والحياة، يقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم: ﴿ سُبْحَانَ

(١) فقه السيرة للدكتور محمد سعيد البوطى.

الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾(١).

صَدَقَ الله العظيم.

معجزة انشقاق القمر

يقول الله عز وجل: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْاْ آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌ﴾(٢).

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن قتادة، عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال: سأل أهلُ مكة النبى ﷺ آية، فانشق القمر بمكة مرتين، فقال: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾(٣).

وقال البخارى: حدثنى عبد الله بن عبد الوهاب، حدثنا بشر بن المفضل، حدثنا سعيد بن أبى عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ: أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يُريهم آيةً، فأراهم القمر شِقَّيْن، حتى رأوا حِرَاءَ بينهما.

وقال الإمام أحمد، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه،

(١) الإسراء: ١.
(٢) القمر: ١، ٢.
(٣) رواه مسلم.

قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرْقَتَيْن: فرقة على هذا الجبل، وفرقة على هذا الجبل، فقالوا: سَحَرَنَا محمد. فقالوا: إن كان سحرنا فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم! تفرد به الإمام أحمد من هذا الوجه، وأسنده البيهقى فى الدلائل من طريق محمد ابن كثير، عن أخيه سليمان بن كثير، عن حصين بن عبد الرحمن.

وقال ابن جرير: عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ**﴾، قال: قد مضى ذلك، كان قبل الهجرة، انشق القمر حتى رأوا شِقَّيْه.

وعن مجاهد، عن عبد الله بن عبد الله فى قوله: ﴿**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ**﴾، قال: وقد كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ، انشق فلقتين، فلقة من دون الجبل، وفلقة من خلف الجبل، فقال النبى ﷺ: اللهم اشهد[1].

وروى الإمام أحمد عن مؤمل، عن إسرائيل، عن سماك، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عبد الله، قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ حتى رأيت الجبل من بين فرجتى القمر، وقال ليث عن مجاهد: انشق القمر على عهده ﷺ، فصار فرقتين، فقال النبى لأبى بكر: اشْهَدْ يا أبا بكر، فقال المشركون: سَحَرَ القَمرَ حتى انشقَّ.

(١) رواه مسلم والترمذى.

وهكذا كلما رأى المشركون آية من آيات الله الباهرة، الدالة على صدق محمد ﷺ أعْرَضُوا، وكابروا، وعاندوا، وقالوا: إنه سحر مستمر.

منع الجان ومردة الشياطين من استراق السمع

يقول الإمام ابن كثير ـ رضى الله عنه ـ:

كان من رحمة الله وفضله ولُطفه بخلقه أن حَجَبُهم عن السماء، كما قال الله تعالى إخبارًا عنهم فى قوله: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا (٩) وَأَنَّا لا نَدْرِى أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾[1]. وقال تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ (٢١٠) وَمَا يَنْبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ (٢١١) إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾[2].

روى الطبرانى، عن سعيد بن جرير، عن ابن عباس، قال: «كان الجن يصعدون إلى السماء يستمعون الوحى، فإذا حَفِظُوا الكلمة زادوا فيها تسعًا، فأما الكلمة فتكون حَقًّا، وأما ما زادوا فتكون باطلاً، فلما بُعِثَ النبى ﷺ مُنِعُوا مقاعدهم، فذكروا ذلك لإبليس،

(١) الجن: ٨ ـ ١٠.
(٢) الشعراء: ٢١٠ ـ ٢١٢.

ولم تكن النجوم يرمى بها من قبل ذلك، فقال لهم إبليس: هذا لأمر قد حَدَثَ فى الأرض، فبعث جنوده فوجدوا رسول الله ﷺ قائمًا يصلى بين جَبَلَيْن، فأتوه فأخبروه، قال: هذا الأمر الذى قد حَدَثَ فى الأرض».

وقال أبو عوانة، عن أبى بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حِيلَ بين الشياطين وبين خبر السماء، وأُرسلت عليهم الشُّهُب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما بكم؟ قالوا: حِيلَ بيننا وبين خبر السماء، وأُرسلت علينا الشُّهُب، فقالوا: ما ذلك إلا من شئٍ قد حَدَث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة - وهو بنخل - عامدين إلى سوق عكاظ، وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا: هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء، فرجعوا إلى قومهم، فقالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِى إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾[1].

وَحَدَّثَ أسامة بن زيد بن أسلم، عن كعب قال: «لم يُرْمَ بنجم منذ رُفع عيسى حتى تنبأ رسول الله ﷺ، فرمى بها، فرأت قريش

(١) الجن: ١، ٢.

أمرًا لم تكن تراه، فجعلوا يُسَيِّبُون أنعامهم[1]، ويعتقون أَرِقَّاءَهُمْ، يظنون أنه الفناء، فبلغ ذلك من فعلهم بالطائف، ففعلت ثقيف مثل ذلك، فبلغ عَبْدَ يَالِيل بن عمرو ما صنعت ثقيف، قال: ولِمَ فعلتم ما أرى؟ قال رُمِيَ بالنجوم فرأيناها تَهَافَتُ من السماء. فقال: إن استعادة المال بعد ذهابه شديد، فلا تعجلوا وانظروا، فإن تكن نجومًا تُعْرَفُ، فهو عندنا من فناء الناس، وإن كانت نجومًا لا تُعْرَفُ فهو الأمر قد حدث.. فنظروا فإذا هى لا تُعْرَفُ، فأخبروه، فقال: الأمر فيه مهلة بعد هذا عند ظهور نبى.

فما مكثوا إلا يسيرًا حتى قَدِمَ عليهم أبو سفيان بن حرب إلى أمواله[2]، فجاء عبد ياليل، فذاكَرَهُ أمر النجوم، فقال أبو سفيان: ظَهَرَ محمد بن عبد الله يَدَّعِى أنه نَبِىٌّ مُرْسَل. فقال عبد ياليل: فعند ذلك رُمِى بها»[3]. وقال سعيد بن منصور، عن خالد بن حصين، عن عامر، عن الشعبى، قال: «كانت النجوم لا يُرْمَى بها حتى بُعث رسول الله ﷺ، فَسَيَّبُوا أنعامهم، وأَعتقوا رقيقهم، فقال عبد ياليل: انظروا فإن كانت النجوم التى تُعْرَفُ فهو عند فناء الناس، وإن كانت لا تُعْرَفُ فهو لأمرٍ عظيم قد حَدَث، فنظروا فإذا هى لا تُعْرَفُ، قال: فأمسكوا. فلم يلبثوا إلا يسيرًا حتى جاءهم خروج النبى ﷺ».

(١) أى: يتركونها تذهب حيث شاءت.
(٢) أى: جاء يُطالبهم بما لَهُ عليهم من مالٍ.
(٣) يعنى النجوم والشُّهُب.

وهكذا نرى أن الله عز وَجَلَّ ـ إكرامًا لرسوله الكريم ـ منع الجانَّ ومَرَدَة الشياطين من استراقِ السمع، والله تعالى أعلم.

قصة مصارعة ركانة

والشجرة التى دعاها الرسول صلى الله عليه وسلم فأقبلت

قال ابن إسحاق: حدثنى أبى إسحاق بن يسار قال: «كان ركانة ابن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف أشد قريشًا، فَخَلاَ يومًا برسول الله ﷺ فى بعض شِعَاب مكة، فقال له رسول الله ﷺ: يا رُكَانُة ألا تتقى الله وتَقْبَل ما أدعوك إليه؟ قال: إنى لو أعلم أن الذى تقول حَقٌّ لاتبعتك. فقال له رسول الله: أفرأيتَ إنْ صَرَعْتُكَ، أتعلم أن ما أقول حق؟ قال: نعم. قال: فَقُمْ حتى أُصَارِعَكَ. قال: فَقَامَ ركانة إليه فَصَارَعه، فلما بطش به رسول الله ﷺ أَضْجَعَهُ لا يملك من نفسه شيئًا، ثم قال: عُدْ يا محمد، فعَاد فصرعه، فقال: يا محمد، والله إن هذا للعجب!! أتصرعنى؟ قال: وأعجب من ذلك إن شِئْتَ أُرِيكَه إنِ اتَّقَيْتَ الله واتَّبَعْتَ أمرى. قال: وما هو؟ قال: أدعو لك هذه الشجرة التى تَرَىَ فتأتينى. قال: فَادْعُهَا. فَدَعَاها ﷺ فأقبلت، حتى وقفت بين يدى رسول الله ﷺ، فقال لها: ارجعى إلى مكانك، فرجعتْ إلى مكانها، قال: فذهب ركانة إلى قومه فقال: يا بنى عبد مناف، سَاحِرُوا صاحبكم أَهْلَ

الأرض، فوالله ما رأيت أَسْحَرَ منه قط. ثم أخبرهم بالذى رأى والذى صنع».

هكذا روى ابن إسحاق هذه القصة مرسلة بهذا البيان.

وقد روى أبو بكر الشافعى ـ بإسناد جيد ـ عن ابن عباس رضى الله عنهما: أن ركانة بن عبد يزيد صَارَعَ النبى ﷺ فصرعه النبى ﷺ ثلاث مرات، كل مرة على مائة من الغنم، فلما كان فى الثالثة قال: يا محمد ما وضع ظهرى إلى الأرض أَحَدٌ قبلك، وما كان أحد أبغض إلىَّ منك، وأنا أشهد أن لا إلـه إلا الله وأنك رسول الله. فقام عنه رسول الله ﷺ وَرَدَّ عليه غنمه.

نقض الصحيفة

اشتد إيذاء المشركين للرسول ولمن آمَنَ معه، واشتدوا فى إيذائهم للمستضعفين من المسلمين، وقاطعوا بنى هاشم فلم يبيعوا لهم، ولم يشتروا منهم، ولم يُزَوِّجُوهم، ولم يتزوجوا منهم. واستمر النبى ﷺ وأصحابه من بنى هاشم وبنى المطلب فى الشِّعْبِ[1] مدة طويلة من الزمن، وقد اشتد بهم الحال، فلم يجدوا طعامًا ولا شرابًا، غير أن الله تعالى قيض لهم نفرًا من بنى قريش، هو هشام بن عمرو بن ربيعة، وكان هشام لبنى هاشم واصِلاً، وكان ذا شَرَفٍ فى قومه،

(١) الشِّعْبُ: مكان بين جبلين

النبى ﷺ، وإنا أَسْرَيْنَا، حتى إذا كنا فى آخر الليل، وقعنا وقعة، ولا وقعة أحلى عند المسافر منها، فما أيقظنا إلا حر الشمس، وكان أول من استيقظ فلان، ثم فلان، ثم فلان... ثم عمر بن الخطاب الرابع، وكان النبى ﷺ إذا نام لم يُوقَظْ حتى يستيقظ، لأنَّا لا ندرى ما يحدث له فى نومه، فلما استيقظ عمر ورأى ما أصاب الناس، وكان رجلاً جليدًا، فَكَبَّرَ ورفع صوته بالتكبير، فما زال يُكَبِّرُ ويرفع صوته بالتكبير، حتى استيقظ بصوته النبى ﷺ، فلما استيقظ شكوا إليه الذى أصابهم، قال: «لا ضير ـ أو لا يضير ـ ارتحلوا». فارتحل، فسار غير بعيد، ثم نزل فدعا بالوضوء فتوضأ، ونُودى بالصلاة فصلى بالناس، فلما انفتل من صلاته، إذا هو برجل معتزلٍ لم يُصَلِّ مع القوم، قال: «ما منعك يا فلان أن تصلى مع القوم؟». قال: أصابتنى جنابة ولا ماء، قال: «عليك بالصعيد، فإنه يكفيك». ثم سار النبى ﷺ، فاشتكى إليه الناس من العطش، فنزل فدعا فلانًا، ودعا عليًّا، فقال: «اذهبا فابتغيا الماء». فانطلقا، فلقيا امرأة بين مزادتين، أو سطيحتين من ماء على بعيرٍ لها، فقالا لها: أين الماء؟ قالت: عهدى بالماء أمس هذه الساعة، ونفرنا خلوف. قالا لها: انطلقى إذًا، قالت: إلى أين؟ قالا: إلى رسول الله ﷺ، قالت: الذى يُقال له الصابئ؟ قالا: هو الذى تعنين، فانطلقى. فجَاءَا بها إلى النبى ﷺ وحَدَّثَاه الحديث. قال: فَاسْتَنْزِلُوهَا عن بعيرها، ودعا النبى ﷺ بإناء، ففرغ من أفواه المزادتين، أو السطيحتين، وأوكأ

الله يُحَدِّثُ أن يهودية من أهل خيبر سَمَّتْ شاة مَصْلِيَّة، ثم أهدتها لرسول الله ﷺ، فأخذ رسول الله ﷺ الذراع فأكل منها، وأكل رَهْطٌ من أصحابه معه، ثم قال لهم رسول الله ﷺ: ارْفَعُوا أيديكم، وأرسل رسول الله ﷺ إلى المرأة فدعاها، فقال لها: أَسَمَمْتِ هذه الشاة؟ قالت اليهودية: مَنْ أخبرك؟ قال: أخبرنى هذه التى فى يدى (وهى الذراع) قالت: نعم. قال: فما أَرَدْتِ بذلك؟ قالتْ: قُلْتُ إنْ كُنْتَ نبيًّا فلن يضرك، وإن لم تكن نبيًّا استرحنا منك. فعفا عنها رسول الله ﷺ ولم يعاقبها، وتوفى بعض أصحابه الذين أَكَلُوا من الشاة، واحْتَجَمَ النبىُّ ﷺ على كاهله من أجل الذى أكل من الشاة، حَجَمَهُ أبو هند بالقرن والشفرة، وهو مولى لبنى بياضة من الأنصار».

نبع الماء من بين أصابعه وتكثير الطعام

عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال: «أُتِىَ النبى ﷺ بإناء ـ وهو بالزوراء[1] ـ فوضع يده فى الإناء، فجعل الماء ينبع من بين أصابعه، فتوضأ القوم. قال قتادة: قلت لأنس: كم كنتم؟ قال: ثلاثمائة، أو زهاء ثلاثمائة (أى ما يقرب من ثلاثمائة)[2].

وعن عمران بن حصين ـ رضى الله عنه ـ قال: «كنا فى سَفَرٍ مع

(١) موضع.

(٢) رواه البخارى ومسلم.

عنه ـ قال: «لما فُتحَتْ خَيْبَرُ أُهديت لرسول الله ﷺ شاةٌ فيها سُمٌّ، فقال رسول الله ﷺ: اجمعوا لى مَنْ كان ها هنا من يهود، فجمعوا له، فقال النبى ﷺ: إنى سائلكم عن شئ فهل أنتم صَادقىَّ عنه؟ قالوا: نعم يا أبا القاسم. فقال لهم رسول الله ﷺ: مَنْ أبوكم؟ قالوا: أبونا فلان. فقال رسول الله ﷺ: كَذَبْتُمْ بل أبوكم فلان. قالوا: صَدَقْتَ وَبَرَرْتَ. فقال: هل أنتم صادقىَّ عن شئ إذا سألتكم عنه؟ قالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كَذَبْنَا عرفت كذبنا كما عرفته فى أبينا. فقال رسول الله ﷺ: من أهل النار؟ فقالوا: نكون فيها يسيرًا ثم تخلفونا فيها. فقال لهم رسول الله ﷺ: والله لا نخلفكم فيها أبدًا. ثم قال لهم: هل أنتم صادقىَّ عن شئ إذا سألتكم؟ فقالوا: نعم يا أبا القاسم، فقال: هل جعلتم فى هذه الشاة سُمًّا؟ فقالوا: نعم. قال: ما حَمَلَكُم على ذلك؟ قالوا: أردنا إنْ كُنْتَ كاذبًا أن نستريح منك، وإن كنت نبيًّا لم يَضُرَّكَ.

وفى الصحيحين من حديث شعبة، عن هشام بن زيد، عن أنس ابن مالك: «أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة، فأكل منها، فجئ بها إلى رسول الله ﷺ، فسألها عن ذلك، قالت: أردتُ لأقتلك. فقال: ما كان الله لِيُسَلِّطَكِ عَلَىَّ. أو قال: عَلَى ذلك. قالوا: ألا تقتلها؟ قال: لا. قال أنس: فما زلت أعرفها فى لهوات رسول الله ﷺ». وعن ابن شهابٍ قال: «كان جابر بن عبد

رَدُّهُ صلى الله عليه وسلم عَيْنَ قتادة

قال البيهقى فى الدلائل: عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن أبيه، عن جده قتادة بن النعمان: أنه أُصيبت عينه يوم بَدْرٍ فسالت حدقته على وجنته، فأرادوا أن يقطعوها، فسألوا رسول الله ﷺ، فقال: «لا»، فدعاه فغمز حدقته براحته، فكان لا يدرى أى عينيه أُصيبت؟

وفى رواية: فكانت أَحْسَنَ عينيه. وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، أنه لما أخبره بهذا الحديث عاصم بن عمر بن قتادة، ومع ذلك أنشده:

أنا ابن الذى سالت على الخد عينه ... فَرُدَّتْ بكفِّ المصطفى أيما رَدِّ

فقال عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله تعالى ـ عند ذلك، مستشهدًا بقول أمية بن أبى الصلت فى سيف بن ذى يزن:

تلك المكارم لا قعبان من لَبَنٍ ... شِيبَا بماءٍ فَعَادَا بَعْدُ أبوالا (١)

قصة الشاة المسمومة

كانت المعجزات الباهرة لرسول الله ﷺ تتوالى متتابعةً تأييدًا له فى دعوته إلى الحق، وبرهانا ساطعًا، وحجة دامغة، لَعَلّ الله يفتح بها قلوبا غُلْفًا، وآذانًا صُمًّا، وهذه إحداها: قصة الشامة المسمومة.

رَوَى الإمام البخارى ـ رضى الله عنه ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله

(١) البداية والنهاية (١/ ٤٤٥).

وفى سنن الدَّارمِى بإسناد صحيح، من حديث أنس بن مالك، رضى الله عنه، قال: كان النبى ﷺ يقوم يوم الجمعة فيسند ظهره إلى جذعٍ منصوب فى المسجد فيخطب الناس، فجاءه رُومِىٌّ، فقال: أَلاَ أصنع لك شيئًا تقعد عليه وكَأَنَّكَ قائم؟ فَصَنَعَ له منبرًا له درجتان، ويقعد على الثالثة، فلما وقف نبى الله ﷺ، على ذلك المنبر خَارَ الجِذْعُ كَخُوارِ الثَّوْرِ، حتى ارتج المسجد حزنًا على رسول الله ﷺ، فنزل إليه رسول الله ﷺ فالتزمه وهو يخور، فلما التزمه رسول الله ﷺ سكَنَ، ثم قال: «**والذى نفس محمد بيده، لو لم ألتزمه لما زال هكذا إلى يوم القيامة**» حزنًا على رسول الله ﷺ فَأمَرَ رسول الله ﷺ به فَدُفِنَ.

وروى البيهقى ـ رحمه الله ـ: إن قصة حنين الجذع من الأمور الظاهرة التى حَمَلَهَا الخَلَفُ عن السلف، ورواية الأخبار الخاصة فيها كالتكلف.

وقد نقل ابن أبى حاتم فى مناقب الشافعى ـ رضى الله عنه ـ عن أبيه، عن عمرو بن سواد، عن الشافعى قال: ما أعطىَ الله نبيًّا ما أعطى محمدًا. فقلت: أَعطى عيسى إحياء الموتى. قال: أعطى محمدًا حنين الجِذْع حتى سُمع صوته، فهذا أكبر من ذلك. والله أعلم.

حنين الجذع لرسول الله صلى الله عليه وسلم

روى البخارى عن جابر بن عبد الله: «أن النبى ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة[1] فقالت امرأة من الأنصار ـ أو رجل ـ: يا رسول الله، ألا نجعل لك منبرًا؟ قال: «إنْ شِئْتُم». فجعلوا له منبرًا، فلما كان يوم الجمعة دُفِعَ إلى المنبر، وصاحت النخلة صياح الصبى، ثم نزل النبى ﷺ فضمها إليه وهى تئن أنين الصبى الذى يُسكته... كانت تبكى على ما كانت تسمع من الذِّكْرِ عندها»[2].

وقد أشار الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ إلى هذا الحديث فقال: «كان النبى ﷺ إذا خطب يستند إلى جِذْعٍ نخلة من سَوارِى المسجد، فلما صُنِعَ له منبره واستوى عليه اضطربت تلك الساريةَ فصدر منها صوت كحنينِ الناقة، حتى سمعها أهلُ المسجد، حتى نزل إليها ﷺ فاعتنقها، فسكتت[3].

وفى رواية من حديث جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنهما ـ قال «كان المسجد مسقوفًا على جُذوع من نخل، فكان النبى ﷺ إذا خطب يقوم إلى جِذْعٍ منها، فلما صُنع له المنبر فكان عليه سَمِعْنَا لذلك الجذع صوتًا كصوت العشار، حتى جاء النبى ﷺ فوضع يده عليه فَسَكَت»[4].

(١) أى: كان يخطب خطبة الجمعة فوقها..

(٢) رواه البخارى.

(٣) رواه الإمام أحمد فى مسنده.

(٤) رواه الإمام البخارى.

ابن عدى إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأَرَضَةَ قد أَكَلَتْهَا، إلاَّ: باسمك اللهم[1].

وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة، وقد شُلَّتْ يده فيما يزعمون[2].

قال ابن هشام: وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال لأبى طالب: يا عَمِّ، إن الله قد سَلَّطَ الأَرَضَةَ[3] على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسما هو لله إلا أثبتته فيها، ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان. فقال: أَرَبُّكَ أخبرك بهذا؟ قال: نعم. قال: فوالله ما يدخل عليك أَحَدٌ. ثم خرج إلى قريش فقال: يا معشر قريش، إن ابن أخى قد أخبرنى بكذا وكذا، فهلم صحيفتكم، فإن كانت كما قال فانتهوا عن قطيعتنا وانزلوا عنها، وإن كان كاذبًا دفعتُ إليكم ابن أخى. فقال القوم: قد رضينا. فتعاقدوا على ذلك، ثم نظروا فإذا هى كما قال رسول الله ﷺ، فزادهم ذلك شرًّا، فعند ذلك صنع الرهط من قريش فى نقض الصحيفة.

وهكذا نرى عظمة الله العلىِّ القدير الذى سَلَّطَ على تلك الصحيفة الآثمة الأرضة فأكلتها عن آخرها، ما عدا اسم الله جَلَّ وعَلاَ.

(١) يعنى: قد أكلتها إلاَّ موضعًا منها كُتِبَ فيه: باسمك اللهم.

(٢) سيرة ابن هشام (١/٢٥٣).

(٣) الأَرَضَة: دودة، أو دويبة بيضاء تأكل الخشب ونحوه.

فكان يأتى بالبعير ـ وبنو هاشم وبنو المطلب فى الشِّعْب ليلاً ـ وقد أوقره طعامًا حتى إذا أقبل به فم الشعب خَلَع خِطَامَهُ[1] عن رأسه ثم ضربه على جنبه فيدخل الشِّعْبَ عليهم.

قال ابن إسحاق: ثم إنه ـ أى هشام ـ مَشَى إلى زهير بن أبى أمية وكانت أمه عاتلة بنت عبد المطلب، فقال له: يا زهير، أرضيت أن تأكل الطعامَ، وتلبس الثياب، وتنكح النساءَ، وأخوالك حيث قد عَلِمْتَ لايُبَاعُونَ ولا يُبْتَاع منهم، ولا ينكحون ولا يُنكح إليهم؟ أما إنى أحلف بالله أن لو كان أخوال أبى الحكم بن هشام ثم دعوته إلى مثل ذلك ما دعاك إليه منهم فما أجابك إليه أبدًا.

ثم ذهب إلى غيره وقال له مثل ما قال، وذهب إلى غيره كذلك وقال له مثل ما قال.

واجتمعوا بأعلى مكة، وأَجْمَعُوا أمْرَهُم وتعاقدوا على القيام فى أمر الصحيفة حتى ينقضوها. وقال زهير: أنا أبدؤكم فأكون أول من يتكلم. فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم، وغَدَا زهير بن أبى أمية وعليه حُلَّةٌ، فطاف بالبيت سبعًا، ثم أقبل على الناس فقال: يا أهل مكة، أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هَلْكَى لا يَبْتَاعُون ولا يُبْتَاع منهم؟ والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة. وجرى نقاش حاد بين أبى جهل وبين زَمْعَة بن الأسود، وأبو البخترى، وكان أبو طالب جالسًا فى ناحية من المسجد، فقام المطعم

(٢) الخِطَام: الزمام الذى تُقَادُ به الدَّابة.

أفواههما، وأطلق العزالى، ونودى فى الناس: اسقوا واستقوا. فسقى مَنْ شاء، واستقى من شاء، وكان آخر ذاك أن أعطى الذى أصابته الجنابة إناءً من ماء، قال: «اذهب فأفرغه عليك» وهى قائمة تنظر إلى ما يفعل بمائها، وايم الله، لقد أقلع عنها، وإنه ليخيل إلينا أنها أشد ملأة منها حين ابتدأ فيها. فقال النبى ﷺ: «اجمعوا لها». فجمعوا لها من بين عجوة ودقيقة وسويقة، حتى جمعوا لها طعامًا، فجعلوها فى ثوب، وحملوها على بعيرها، ووضعوا الثوب بين يديها، قال لها: «تعلمين ما رُزئنا من مائك شيئًا، ولكن الله هو الذى سقانا» فأتت أهلها وقد احتبست عنهم[1]، قالوا: ما حبسك يا فلانة؟ قالت: العجب، لقينى رجلان، فذهبا بى إلى هذا الذى يُقال له الصابئ، فَفَعَل كذا وكذا، فوالله إنه لأسحر الناس ممن بين هذه وهذه ـ وقالت بإصبعيها الوسطى والسبابة، فرفعتهما إلى السماء: تعنى السماء والأرض ـ أَوْ إنه لرسول الله حقًّا. فكان المسلمون بعد ذلك يغيرون على من حولها من المشركين، ولا يصيبون الصِّرْم[2] الذى هى منه، فقالت يوما لقومها: ما أرى أن هؤلاء القوم يدعونكم عمدًا، فهل لكم فى الإسلام، فأطاعوها، فدخلوا فى الإسلام».

وعن جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنهما ـ قال: «عطش الناس

(١) أى: غابت عنهم.
(٢) الصِّرْم: الجماعة المنعزلة.

يوم الحُدَيْبِيَةِ، ورسول الله ﷺ بين يديه رِكْوَةٌ[1]، فتوضأ منها، ثم أقبل الناس نحوه، فقال رسول الله ﷺ: «مالكم»؟ قالوا: يا رسول الله ليس عندنا ماء نتوضأ به ولا نشرب إلا ما فى رِكْوَتِكَ. قال: فوضع النبى ﷺ يده فى الركوة، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون، قال: فشربنا وتوضأنا، فقلت لجابر: كم كنتم يومئذ؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة».

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال: «كنا نَعُد الآيات بركةً، وأنتم تعدونها تخويفًا، كنا مع رسول الله ﷺ فى سَفَرٍ، فَقَلَّ الماءُ، فقال: «اطلبوا فَضْلَةً من ماء»، فجاءوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخَلَ يَدَهُ فى الإناء، ثم قال: حَيَّ على الطَّهُور المبارك، والبركة من الله، فلقد رأيتُ الماءَ ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنا نسمع تسبيحَ الطعام وهو يُؤْكَلُ».

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك، فكان يجمع الصلاة، فجمع الظهر والعصر جمعًا، ثم خرج بعد ذلك فصلى المغرب والعشاء جمعًا، ثم قال: «إنكم ستأتون غدًا ـ إن شاء الله ـ عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار، فمن جاءَها منكم فلا يمس من مائها شيئًا حتى آتى»،

(١) الركوة: إناءٌ صغيرٌ من جِلْدٍ يُشْرَبُ فيه الماء.

فجئناها وقد سبقنا إليها رَجُلاَن، والعين مثل الشراك تبض[1] بشئ من ماء. قال: فسألهما رسول الله ﷺ: «هل مسستما من مائها شيئا»؟ قالا: نعم، فَلاَمَهُمَا النبى ﷺ، وقال لهما ما شاء الله أن يقول. قال: ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلاً قليلاً، حتى اجتمع فى شئ، قال: وغَسَلَ رسول الله ﷺ فيه يده ووجهه، ثم أعاده فيها. فجرت العين بماء مُنْهَمِرٍ ـ أو قال: غزير، شَكَّ أبو علىٍّ أيهما قال ـ حتى استقى الناس. ثم قال: **يوشك يا مُعَاذُ (يعنى مُعَاذَ بن جبل) إن طالت بك حياةٌ أَنْ ترى ما ههنا قد مُلئ جنانًا**». أى : طرائق.

وعن البراء بن عازب ـ رضى الله عنهما ـ قال: «كنا يوم الحديبية أربع عشرة مائة، والحديبية بئر، فترضاها حتى لم تنزل فيها قطرة، فجلس النبى ﷺ على شفير البئر، فدعا بماءٍ، فمضمض ومَجَّ فى البئر، فمكثنا غير بعيد، ثم أسقينا حتى روينا».

وعن أنس بن مالك قال: قال أبو طلحة لأم سليم:

«لقد سمعْت صوتَ رسول الله ﷺ ضعيفًا، أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شئ؟ قالت: نعم، فأخرجتْ أقراصًا من شعير، ثم أخرجت خمارًا لها، فَلَفَّت الخبز ببعضه، ثم دَسَّتْهُ تحت يدى، ولاثتنى ببعضه، ثم أرسلتنى إلى رسول الله ﷺ، قال: فذهبتُ به،

(١) تبض: تسيل، والشراك سير النعل. ومعنى ذلك أن الماء قليل.

فوجدتُ رسول الله ﷺ فى المسجد ومعه الناس، فقمتُ عليهم، فقال لى رسول الله ﷺ: «أأرْسَلَكَ أبو طلحة»؟ فقلت: نعم. قال: «بطعام»؟ قلت: نعم. فقال رسول الله ﷺ لمن معه: «قوموا». فانطلق وانطلقتُ بين أيديهم، حتى جئتُ أبا طلحة فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أم سليم: قد جاء رسول الله ﷺ بالناس، وليس عندنا ما نطعمهم؟ فقالت: الله ورسوله أعلم. فانطلق أبو طلحة حتى لَقِىَ رسول الله ﷺ، فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه، فقال رسول الله ﷺ: «هُلُمِّى يا أم سليم ما عندك»[1] فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله ﷺ ففُتَّ، وعصرت أم سليم عُكَّةً فَأَدَمَتْهُ[2]، ثم قال رسول الله ﷺ فيه ما شاء أن يقول، ثم قال: «ائذن لعشرة». فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: «ائذن لعشرة». فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: «ائذن لعشرة». فأكل القوم كلهم وشبعوا، والقوم سبعون أو ثمانون رجلا[3].

شفاء المريض بدون علاج حسى

عن سهل بن سعد - رضى الله عنه - قال: قال النبى ﷺ يوم خيبر: «**لأعطين الراية غداً رجلا يُفْتَحُ على يديه، يحب الله ورسوله،**

(١) أى: أحْضِرى ما عندك من الطعام.
(٢) أى خَلَطَتْ مَا فُتَّ من الطعام بالسمن. والإدام لُغَةً: ما يُسْتَمْرَأُ به الخبز.
(٣) رواه البخارى ومسلم.

ويحبه الله ورسوله. فبات الناس ليلتهم: أيهم يُعْطَى، فغدوا كلهم يَرْجُونَهُ، فقال ﷺ: أين على؟ فقيل: يشتكى عينيه. فبصق فى عينيه، ودَعَا له، فَبَرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه. فقال: أُقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: انفذ على رِسْلِكَ حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدى الله رَجُلاً بِكَ خَيْرٌ لك من أن يكون لك حُمر النعم»(١).

استجابة الله تعالى لدعاء نبيه صلى الله عليه وسلم

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: «كنت أدعو أمى إلى الإسلام وهى مشركة، فدعوتها يومًا فَأَسْمَعَتْنِى فى رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيتُ رسولَ الله ﷺ وأنا أبكى. قلت: يا رسول الله إنى كنت أدعو أمى إلى الإسلام فتأبىَ علىَّ. فدعوتها اليوم فأسمعتنى فِيكَ ما أكره. فَادْعُ الله أن يهدى أُمَّ أبى هريرة! فقال رسول الله ﷺ: «اللهم! اهْد أُمَّ أبى هريرة» فخرجتُ مستبشرا بدعوة نبى الله ﷺ. فلما جِئْتُ فَصِرْتُ إلى الباب، فإذا هو مُجَافٌ، فَسَمِعَتْ أمى خشف قدمى. فقالت: مكانك يا أبا هريرة! وسمعت خضخضة الماء. قال: فاغتسلتْ ولبست دِرْعَهَا وعجلت عن خمارها. ففتحت الباب. ثم قالت: يا أبا هريرة، أشهد أن لا إلـه إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. قال: فرجعتُ إلى رسول الله ﷺ، فأتيتهُ وأنا

(١) رواه البخارى ومسلم.

أبكى من الفرح. قال: قلت: يا رسول الله، أَبْشِرْ قد استجاب الله دعوتك وهَدَى أم أبى هريرة. فحمد الله وأثنى عليه، وقال خيرًا. قال قلت: يا رسول الله، ادع الله أن يُحبِّبَنِي أنا وأمى إلى عباده المؤمنين، ويحببهم إلينا. قال: فقال رسول الله ﷺ: **«اللهم! حَبِّبْ عبيدك هذا - يعنى أبا هريرة - وأمه إلى عبادك المؤمنين. وحَبِّبْ إليهم المؤمنين» فما خَلْقٌ مؤمن يسمع بى، ولا يرانى، إلا أحبنى**[1].

عصمة الله تعالى لنبيه

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أَظْهُرِكُمْ؟ قال: فقيل: نعم. فقال: واللَّاتِ والعُزَّى! لئن رأيته يفعل ذلك لأَطَأَنَّ على رقبته، أو لأعفرن وجهه فى التراب. قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلى، زَعَمَ ليطأ على رقبته، قال: فما فَجَئَهُمْ منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقى بيديه. قال: فقيل له: مالك؟ فقال: إن بينى وبينه لخندقًا من نار وَهَوْلاً وأجنحةً. فقال رسول الله ﷺ: **«لو دَنَا منى لاختطفته الملائكة عُضْوًا عضوًا»**[2].

وعن سعد بن أبى وقاص - رضى الله عنه - قال: «رأيت رسول

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

الله ﷺ يوم أُحُد ومعه رجلان يُقاتلان عنه ـ عليهما ثياب بيض ـ كأشد القتال، ما رأيتهما قبل ولا بعد[1].

وعن ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ قال: «إن الملأ من قريش اجتمعوا فى الحجْرِ فتعاقدوا باللَّات والعُزَّى، ومَناة الثالثة الأخرى، ونائلة، وأُساف[2]، لو قد رأينا محمدًا لَقُمْنَا إليه قيام رجلٍ واحد، فلم نفارقه حتى نقتله. فأقبلت ابنته فاطمة رضى الله تعالى عنها تبكى حتى دخلت على رسول الله، فقالت: هؤلاء الملأ من قريش قد تعاقدوا عليكَ لو قد رأوك لَقَامُوا إليك فقتلوك، فليس منهم رجل إلاَّ قد عرف نصيبه من دمك. فقال: يا بُنَيَّة، أرينى وضوءًا، فتوضأ، ثم دخل عليهم المسجد، فلما رأوه قالوا: هاهو ذا، وخفضوا أبصارهم، وسقطت أذقانهم فى صدورهم، وعُقِرُوا فى مجالسهم، فلم يرفعوا إليه بصرًا، ولم يقم إليه منهم رجل، فأقبل رسول الله ﷺ حتى قام على رُءُوسهم، فأخذ قبضةً من التراب فقال: شَاهَتِ الوُجُوه، ثم حَصَبَهُمْ بها، فما أصابَ رجلاً منهم مِنَ ذلك الحصى حصاة إلا قُتِلَ يوم بدر كافرًا»[3].

لا شك أن المعجزات الباهرات للرسول الكريم ﷺ لا حَصْرَ لها،

(١) رواه البخارى ومسلم.
(٢) أسماء أصنام لهم.
(٣) رواه الإمام أحمد.

ولا ننسى معجزة الرسول حيث وقف المشركون أمام الغار، فجاء العنكبوت ونسج خيوطه أمام الغار، ورقدت الحمامة على بيضها.

وكذلك ما كان من أمر سُرَاقَةَ بن مالك الذى أَتَى طمعًا فى المال، فرجع بالإيمان الكامل.

ولا ننسى كذلك معجزة أم معبد، تلك المرأة العجوز عندما مَرّ بها الرسول ﷺ فى طريق الهجرة ولم يجد عندها حليبًا ولا طعامًا، فأمسك ﷺ بشاة عجوز عجفاء وقال: بسم الله، فبدأ ضرعها يدر اللبن الغزير، وغير ذلك كثير[1].

* * *

(١) وقد قام يوسف النبهانى بجمع معجزات الرسول ﷺ فى مجلدين كبيرين - فى كتابه (حُجة الله على العالمين فى معجزات سيد المرسلين)، وهو مطبوعٌ ومتداول بعد أن قام بتحقيقه أحد علماء الأزهر الشريف.

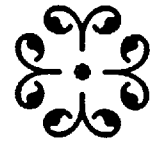

خاتمة

والآن أيها الأخ الكريم:

أكتفى بهذا القَدْر، وأحمد الله تعالى

حيث أمدنى بفضلٍ وكرم من عنده، وأعاننى

على إتمام هذا العمل المتواضع،

عسى أن يكون فيه الموعظة والعبرة

لكل ذى عقل يتدبر، وقلب يتعظ، وأسأله

سبحانه أن يجعل هذ العمل

خالصًا لوجهه الكريم (اللهم آمين).

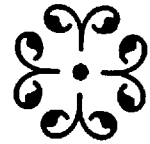

المراجع

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ البداية والنهاية لابن كثير.

٣ ـ تفسير القرآن الكريم لابن كثير.

٤ ـ سيرة ابن هشام.

٥ ـ صفوة التفاسير، لمحمد على الصابونى.

٦ ـ فقه السيرة لسعيد رمضان البوطى.

٧ ـ قصص الأنبياء لابن كثير.

٨ ـ صحيح البخارى.

٩ ـ صحيح مسلم.